عمارة المسكن التقليدي بقصبة ميلة بالشرق الجزائري

د. عبد الكريم خبزاوي

جامعة محمد الشريف مساعدية، سوق أهراس ، الجزائر.

تاريخ الإرسال:01/ 02/ 2018 تاريخ القبول: 21/ 01/ 2019 تاريخ: النشر: 30/ 01/ 2019

الملخص :

عمارة المساكن بصفة عامة تمتاز بأهمية كبيرة، حيث تعتبر شاهدا ماديا ودليلا واضحا على قمة البناء والتشييد بالمدينة العتيقة ميلة بشرق الجزائر، وتعبر مبانيها المدنية أيضا عن النمط المعماري الخاص بها بما تحتويه من مكونات معمارية وتعدد في عناصرها البنائية.

ونهدف من خلال هذه الدراسة إلى تثمين هذه المعالم والوقوف على حالتها قصد وضع خصائص ومميزات لها، وبالتالي معرفة الخصائص المميزة في بناء المسكن الميلي.

الكلمات المفتاحية: مسكن؛ عمارة؛ درابزين؛ كوة؛ مخطط؛ سقيفة؛ غرف.

***Abstract*:**

The housing architecture in general is of great importance, as it is seen as a physical witness and clear evidence of the construction and construction summit in the old City of East Mila Algeria, its civil buildings also express its architectural style with its architectural components and the multiplicity of structural elements.

Through this study, we aim to value these landmarks and to determine their status in order to establish characteristics and peculiarities, and thus to know the characteristics of the construction of the Mila dwelling.

Keywords*: *dwelling, building, balustrade, skylight, striped, penthouse, rooms.

مقدمة:

التراث المادي أو الآثار الباقية تعد أقوى دليل على دور الإسلام في تخليد الحضارة العربية وإبرازها بين حضارات العالم، إذا أصبح علماء الآثار والحضارة الاسلامية، يعتمدون في دراساتهم على مخلفات الأمم من المعالم الأثرية، ليتعرفوا بها عن أحوالها وعاداتها، وما كانت عليه حياتهم ومعيشتهم اليومية، ويقيسوا بها درجة التقدم من أصالة وتقليد، والقدرة على تجويد الصناعة، وتنويع حاجات المعيشة وحسن الفطنة والذوق السليم والمهارة الفنية.

وما من شك في أن العمائر والمباني لها قدر كبير في استنباط الحقائق الثابتة، ومن ثم فقد أضحت العمارة الإسلامية وما يماثلها من آثار قائمة في مقدمة ما يحرص عليه مختصو الآثار والحضارة الإسلامية على استنطاقها والاستماع إليها والوقوف على ما تخفيه من تراث الأولين.

وعمارة المساكن بصفة عامة تمتاز بأهمية كبيرة، حيث تعتبر شاهدا ماديا ودليلا واضحا على قمة البناء والتشييد بالمدينة العتيقة ميلة بشرق الجزائر، وتعبر مبانيها المدنية أيضا عن النمط المعماري الخاص بها بما تحتويه من مكونات معمارية وتعدد في عناصرها البنائية.

ونهدف من خلال هذه الدراسة إلى تثمين هذه المعالم والوقوف على حالتها قصد وضع خصائص ومميزات لها، وبالتالي معرفة الخصائص المميزة في بناء المسكن الميلي.

وتتمحور إشكالية البحث حول تسليط الضوء على هذه المنشأة المعمارية، من خلال محاولة التعرف على نوعية المسكن الميلي كتراث مادي في الفترة الإسلامية، فما هي إذن المكونات المعمارية، والخصائص والمميزات الفنية، لعمارة المسكن التقليدي لقصبة ميلة؟، من خلال دراسة أنموذجين من المساكن التقليدية.

1ـ الموقع الفلكي والجغرافي والطبغرافي لمدينة ميلة القديمة:

أ ـ الموقع الفلكي والجغرافي:

تقع مدينة ميلة القديمة على خط طول 4.36.34° شرق خط غرينتش، وخط عرض 36.50° شمال خط الاستواء بالشرق الجزائري، شمال غرب مدينة قسنطينة، وتبعد عنها بحوالي 32 ميلاً، بارتفاع 464م عن مستوى سطح البحر، و 450 كلم إلى الجنوب الشرقي لمدينة الجزائر العاصمة[1].(أنظر خريطة رقم1).

تقدر مساحتها الإجمالية بحوالي 3048.54 كلم² بتعداد سكاني يفوق 772.708 نسمة، بكثافة سكانية بلغت 204.14 ن/ كلم² الواحد، حسب إحصائيات 31/ 12/ 2008، تحدها من الجهة الشمالية ولاية جيجل، وجنوباً ولاية باتنة، ومن الشرق ولاية قسنطينة وأم البواقي، أما من الناحية الغربية تحدها ولاية سطيف[2]،وهي بهذا الموقع حسب ياقوت الحموي:"...**آخر إقليم أفريقية بينها وبين بجاية ثلاث أيام، وبين قسنطينة يوم واحد**...[3]".

ويرى عبد الواحد المراكشي:"... **من المغرب غرب أفريقية فأول بلدة صغيرة قبل بجاية في البر تسمى ميلة، وبينها وبين بجاية ثلاث مراحل**...[4]".

ميلة هي عاصمة الولاية بعد التقسيم الإداري لسنة 1984، ونتج عنها إنشاء 32 بلدية و13 دائرة، والمدينة حالياً تنقسم إلى قسمين رئيسيين:

أ- المدينة القديمة أو العتيقة: توجد في شرق المدية الحالية (الحديثة)، تتربع على مساحة تفوق 72.703.420 كلم^2 وسط العديد من الحدائق والبساتين عبر انحدار طبغرافي منتظم الارتفاعات ابتداءً من 475م وصولاً إلى 450م في الجنوب[5].

ب - المدينة الحديثة: وتقع إلى الغرب، وقد بنيت في السنوات الأخيرة من أوائل القرن الحالي وأواخر القرن الماضي.

2- أصل التسمية:

عرفت مدينة ميلة أكثر من تسمية، ولعل هذا راجع إلى تعدد الحضارات التي تعاقبت على المنطقة، أما عن أصل التسمية فقد اختلفت الآراء و التأويلات بشأنها، ولكن يرجح أن أصلها أمازيعي[6].

فمنها اسم:

- ميلاف (Milev): وهي كلمة بونية تتكون من جزئين، ألف - (Mil)- الينبوع أو الماء (Ev). والكلمة تعني الألف ساقية، أو الأرض المسقية[7].

- ميلو (Milo): تعني الظل في اللغة الأمازيغية (ثيلي. Thili).

- ميديوس (Medius): تعني المنطقة الوسطى وهي كلمة مشتقة من موقعها الجغرافي، حيث تتوسط أهم المدن القديمة (سيرتا، روسيكادا، أجيلجيلي، ستيفيس)[8].

- ميلاح (Milah): أطلق عليها هذا الاسم من طرف العرب الفاتحين، وهو تحريف للاسم الروماني ميلاف (Milev)، أو تعريب له، وذلك لتسهيل نطقها.

- ميلة (Mila): أطلق عليها هذا الاسم في فترة الاستعمار الفرنسي اختصارًا لنطقها، ويعني التفاحة[9]

ومنه فقد عرفت المدينة أكثر من تسمية، وهذا دلالة على أن المدينة عرفت تعاقب حضارات مختلفة بدءًا من فترة ماقبل التاريخ مرورا بالفترات القديمة النوميدية، والرومانية، فالوندالية، ثم البيزنطية، وصولاً إلى الفترة الإسلامية بمختلف حقبها.

3ـ سكان ميلة:

إن سكان ميلة هم قبائل كتامة البربرية وان لم يجدد الرحالة الجغرافيون تحديدا دقيقا، للعنصر البشري الذي كان يقطن المدينة حيث يذكر البكري بقوله :"...**يسكنها العرب الجند والمولودون** ...[10]"، أي خليط من العناصر البشرية ، وأما الإدريسي فقد خصها بقوله : ".... **وأهلها أخلاط البربر جملة والعرب تحكم بخارجها** ....[11]".

وهو ما أكده صاحب كتاب الاستبصار بقوله:"...**وهم قبائل كثيرة من البربر سكنوا الجبل** ...[12]"، والجدير بالذكر أن الإدريسي استعمل كلمة أخلاط البربر جملة، تماما مثل البكري وهو ما يوحي من قولهما أن سكانها في القرن السادس الهجري هم مزيج بين مختلف القبائل البربرية من كتامة، وغيرها من القبائل البربرية الأخرى بمافيا العرب.

4ـ العمارة التقليدية:

تعد العمارة التقليدية ذلك البناء أو التشييد الذي تم وفق قواعد تقنية متنوعة، وضمن قوالب فنية معينة[13].

لذلك نجد أن العمارة التقليدية قد اختفت في تخطيطها المعماري من منطقة إلى أخرى، ومن حضارة لأخرى، وذلك راجع إلى الظروف المناخية، والعوامل الجغرافية، وحتى الطبغرافية التي لها أثر كبير في تحديد نوعية المكان الذي تبنى علية المباني، بالإضافة إلى تخطيطها حتى تستجيب لتلك المتطلبات.

1.4 ـ أصل المسكن التقليدي:

المسكن لغة: هو المحل الذي يجمع البناء والمساحة والمنزل هو البيت الآهل بالسكان.

اصطلاحا: البيت الذي يكون لعائلة واحدة[14].

وهو كل بناءٍ من حجرٍ أو آجر أو خشب، وكل خيمة يدوية من جلدٍ أو صوف أو وبر[15]، مصداقا لقوله تعالى" والله جعل لكم من بيوتكم سكناً، وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها يوم ضغنكم ويوم إقامتكم ، ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين"[16]. سورة النحل، آية 80.

لقد كان المسكن التقليدي ولا يزال الوعاء الذي يحتمي فيه الإنسان كيفما كان شكله ونمطه، وكان وراء انتشار هذه المنشأة عدة عوامل وهذا ما أكده ابن خلدون في قوله:"...تعد كلٌ من الزراعة والاستئناس من الدواعي الرئيسية للاستقرار الذي ولد البناء وهو أول صنائع العمران الحضري وأقدمها وهي معرفة العمل في اتخاذ البيوت والمنازل للسكن والمأوى للأبدان [17]".

للبيت العربي عدة أسماء مختلفة سواء من حيث البناء أو من حيث الشكل، فكان منها الخباء الذي يصنع من الصوف، والنجاد من الوبر، والفسطاط من الشعر، والقشطح من الجلد والحصيرة من الأغصان، والأفنعة من الحجر، والشدة من الطين[18].

لذلك أخذت قضية بناء السكن وتطويره الكثير من اهتمامات الإنسان، في كل مكان وزمان، وكان الهدف من وراء تلك الجهود المبذولة في هذا الصدد، تحقيق حاجة الإنسان في الحصول على البيت الذي يوفر له الأمن والراحة والاستقرار [19].

فهو بذلك الخلية الأساسية للمدينة ومحور نموها وتنظيمها وتطويرها[20].

2.4 ـ الطابع العام للمسكن:

يتحكم في بناء المسكن عدة عوامل تجعل تركيبه يختلف من مكانٍ لآخر وتتمثل في المناخ الذي يسود المنطقة، والطبيعة الطبغرافية للموقع، إضافة إلى الأحوال المادية للسكان.[21]

بالإضافة إلى العادات والتقاليد المحلية الموروثة في البناء، ومواد البناء المتوفرة بالمنطقة، وتعدد المؤثرات الخارجية.

كل هذه العوامل ساهمت في إنشاء هذه المنشآت إذ كان لها دور هام في حياة ساكنيها، مما انعكس على تخطيطها وإنشائها، وأساليب زخرفتها.

وانطلاقا من هذا الدور يمكن تفسير بساطة هذا المسكن، التي لم تمنعها من المحافظة على النمط التقليدي المعماري الإسلامي الذي يتوسطه فناء مكشوف، أي تخطيط موجه إلى الداخل.

3.4ـ أهمية دراسة المساكن:

من خلال الزيارات المتعددة لمدينة ميلة القديمة، والوقوف على عدة نماذج مختلفة من المساكن، التي تعتبر السمة الغالبة لعمارة وعمران المدينة، كونها تتسم بالوحدة في التخطيط والملاحق، وكذا الزخرفة، ومواد وتقنيات البناء، وكونها كذلك تتكرر في أكثر من نموذج

وتعتبر العمارة المحلية التقليدية بتلك الطريقة، فمن خلالها تمكن الإنسان من فهم المغزى من تخطيط المساكن التقليدية بتلك المنطقة، كما أن المسكن له علاقة مباشرة أيضاً بالواقع الاجتماعي للمجتمع المحلي.

ويراعى في اختيار موقع القرى، وتخطيط المساكن على نقاط نذكر أهمها:

- **البعد الأمني:** إن اختيار مكان المساكن أو المدن يكون غلباً في أعالي الجبال، للتحصين الأمني.

- **البعد الصحي:** كل المساكن تتجه إلى الناحية الشرقية حتى تتمكن أشعة الشمس من دخولها.

- **البعد الثقافي:** جاء تخطيط المساكن معبراً عن القيم الاجتماعية، والتقاليد المتعارف عليها، و التي تميز النمط المعيشي للسكان في كل القرى[22].

- تتشابه في مواد البناء المستعملة، وهي مواد محلية مأخوذة من المنطقة وهي عبارة عن طين أو حجر، وأجر.

- الملاحق الموجودة في المسكن الواحد تتكرر في المساكن الأخرى.

- المساكن بسيطة في عمارتها، وهي تعكس المستوى البسيط لإنسان المنطقة.

- المساكن لها حرمتها، وذلك ما يتضح من خلال التخطيط.

- تكيف الإنسان المحلي مع الطبيعة بصورة ايجابية بابتكاره لبعض التقنيات في فن البناء.

4.4 – النمط العام لمساكن ميلة والدراسة التحليلية:

نظراً لكثرة عدد المساكن داخل مدينة ميلة القديمة وتشابه مخططها العام تم الاكتفاء بدراسة نموذجين من العمارة المدنية، لكون هذه المساكن مازالت تحتفظ بأصالتها رغم ما لحق به من

تهدم، عكس المساكن الأخرى التي عرفت عدة تغييرات أثرت بشكل كامل على مخططها الأصلي، وقد اصطلحنا على هذه المساكن بالمساكن التي يتوسطها صحن مكشوف، بحيث أن هذان النموذجان يختلفان اختلافاً طفيفاً.

4.4**أ. النموذج الأول:**

4.4.**أ**1**. الواجهة الخارجية:**

يقع هذا المسكن في أحد شوارع المدينة القديمة، التي تعرف حالياً باسم القصبة، بحي الحمام في أحد انكسارات الشارع، في مرتفعٍ قليل الانحدار، يتكون هذا المنزل من طابقين، حيث يبلغ طول واجهته الرئيسية بـ (4.84 م)، أما الواجهات الأخرى للمنزل فقد تعذر علينا وصفها لطغيان العمران على جوانب المنزل، واجهته الرئيسية تقع بالجهة الشرقية التي يتوسطها باب المدخل وتعلوه نافذة مستطيلة الشكل. **(أنظر الشكل رقم01)**

4.4.**أ**2**.المدخل:**

يتوسط المدخل واجهة المنزل الرئيسية بارتفاعٍ يقدر بـ (2م)، و(1.86) عرض، و(0.25م) عمق، وهو خالٍ من أي زخرفة تذكر تتوسط دفته اليمنى قطعة من حديد دائرية الشكل تستعمل لطرق الباب،(لوحة5.صورة1) يتصل المدخل برواق مستطيل مقسم إلى ثلاثة أجزاء.

4.4.**أ**3**. السقيفة:**

تقع بعد المدخل مباشرة، تتميز بشكلها المخروطي، وباحتوائها على أبوابٍ مؤديةٍ إلى الصحن أو الفناء، والتي لا تكون متقابلة. **(أنظر الصورة رقم01)**

تنقسم هذه السقيفة إلى ثلاثة أجزاء:

الجزء الأول: منها طوله (5.73م)، وعرض(2.36م) ينتهي هذا الجزء بارتفاع على شكل منصة يقدربـ (0.40م)

أما الجزء الثاني: من السقيفة فتوجد به صغيرة الحجم وقليلة الارتفاع تبلغ مقاساتها بـ (0.64م)، يقابلها أربعة أكتاف من الآجر، وهي مربعة الشكل، أوجدت في هذا المكان لتقوية وتدعيم السقف.

أما بالنسبة **للجزء الثالث:** فهو عبارة عن سقيفة شبيهة بالأولى تنتهي بباب يؤدي إلى فضاءٍ واسع، في بداية هذا الجزء من اليمين فتح مدخل إلى داخل المنزل، وقد سقفت هذه الأجزاء بواسطة عوارض خشبية متوضّعة على أوصال.

وبخصوص تبليط الأرضية فالجزء الأول غير مبلط، والجزء الثاني بلط بمادة الآجر والحجارة، أما الجزء الثالث فبلط بالآجر فقط.

4.4.4أـ الفناء (الصحن):

يعرف الفناء بعدة أسماء منها صحن وباحة [23]، وساحة ووسط الدار[24]، وكذلك العرى والعرين و الحوش عند أهل مصر [25]، ووسط الدار بالعامية الجزائرية .

والمقصود بالفناء من ذلك هو ذلك الفضاء المكشوف الذي يتوسط المسكن المسمى بالحوش[26].**(أنظر الصورة رقم02)**

أما عن شكله فهو شبه منحرف تبلغ مقاسات الجهة الشرقية بـ (8.27م)، وجهته الجنوبية (9.56م)، شغلت واجهته الغربية غرفة لاستقبال الضيوف، بلغ طولها (7.43م) وعن الجهة الشمالية فقد وجدت غرفة صغيرة الحجم ملاصقة للغرفة الأولى نرجح أنها كانت تستغل كمطبخ.

وتحيط بالصحن ثمانية أعمدة أربعة منها في الرواق الشرقي وثلاثة في الرواق الجنوبي للمسكن وعمودان من الناحية الغربية. **(أنظر الصورة رقم03)**

وهو يؤدي بذلك وضائف عدة أهمها أنه يمد المنزل بالنور والهواء وأشعة الشمس، ويلطف من برودة الجو شتاءًا، وحرارته صيفًا، ويسهل الاتصال بين عناصر السكن المختلفة، وقد بلطت أرضية الصحن بمادة الآجر متناسقة مع بعضها البعض ومتساوية في الشكل والحجم كما يوجد رواق آخر في الجهة الجنوبية الشمالية يؤدي بنا إلى درجتين تتقدم الباب المؤدي إلى الطابق العلوي. **(أنظر الشكل رقم02)**

4.4.أ5ـ الطابق العلوي:

يتم الصعود العلوي بواسطة سلم صاعد بالجهة الشمالية من الصحن، يتقدم السلم رواق مستطيل ينتهي بسقيفة تتقدمها اثني عشرة درجة، بلطت أرضيته ببلاطات خزفية ذات لون أحمر، ينتهي هذا السلم في الطابق العلوي الذي شغلته أربعة أروقة مستطيلة الشكل، يتقدم هذه الأروقة درابزينات من الآجر، تحفها من الأعلى عوارض خشبية، كما حوا الدرابزين على مجموعة من الفتحات على شكل زخارف هندسية مثلتها لنا مربعات متلاصقة الأضلع، خمس مربعات في كل جزء وهي موجودة على طول الدرابزين، لهذا الطابق أربعة أروقة حيث تتوزع الغرف على طول الرواق ماعدا الرواق الشمالي للمسكن فهو خالٍ من أي مرافق.

4.4.أ6ـ غرف الطابق العلوي:

تتوزع غرف هذا المسكن للطابق العلوي، في الرواق الجنوبي والغربي، حيث توجد غرفتان بالرواق الجنوبي (لوحة6.صورة2) وهي ذات شكل مستطيل، تبلغ مقاسات الغرفة الأولى بين (5.05م) طول، و(2.64م) عرض، تتوسط هذه الغرفة كوة تنتهي بعقد نصف دائري، أما أطراف الجدران فنجد قوسين نصف دائريين من مادة الجص، مما أعطى صبغة جمالية على الغرفة، بلطت

أرضيتها ببلاطات خزفية مربعة الشكل (20مم)، ذات لون أحمر خالية من أية زخرفة، وبلاطات أخرى بنفس المقاسات، بها زخارف نباتية باللونين الأزرق والأخضر والأصفر أما جدران الغرفة فقد طليت باللون الأخضر.

أما الغرفة الثانية فنلج إليها بواسطة باب ذو دفةٍ واحدة، وهي مستطيلة الشكل كذلك، يوجد على يسار الباب نافذة مستطيلة الشكل قليلة الارتفاع تطل على الرواق وتتوضع خلف الرواق الشرقي غرفة أخرى نلج إليها بواسطة باب خشبي وهي ذات شكل مستطيل تبلغ مقاساتها (8.50م) طول، و(2.72) عرض، بها خزانة جدارية بجانبها سدة للجلوس، ولهذه الغرفة أيضاً نافذتين على جانبي الباب تطلان على الرواق، وهذه الغرفة هي أكبر غرف الطابق العلوي، أما اليوم فإن هذه الغرفة فصلت بواسطة جدار خشبي حديث إلى غرفتين تبلغ مقاسات كل غرفة، الأولى (4.03م) طول و (2.71م) عرض، أما الثانية (4.4م) طول و(2.72) عرض.

وهناك غرفة بالواجهة الشرقية للمسكن تعد أكبر الغرف حجمًا ذات شكل مستطيل، وهناك ما يشبه السدة في الواجهة الغربية الشمالية للمسكن تؤدي بنا إلى ملاحق أخرى كالكنيف، وقد أضيف إلى جانب هذا الأخير كنيف آخر.

4.4ـ ب ـ النموذج الثاني:

4.4.ب1ـ الواجهة الخارجية:

يقع هذا الحي بين حي الرحبة وحي المركز، وهو متصل بأحد المنازل التي يتقدمها صحن، وعموما فهو يتكون من طابقين، شغلت واجهته الرئيسية باب المدخل، **(أنظر الصورة رقم 4)** الذي يقع في الجهة الغربية من المنزل، يعلو هذا الباب بروز إلى الأمام مبني بمادة الآجر، تتوضع على هذا البروز عوارض خشبية مسقفة من الأعلى بمادة القرميد بشكل مائل، كما توجد بهذا الجانب شرافات مسننة بارزة إلى الخارج التي تحدد لنا نهاية الجزء السفلي من المنزل، وبداية الجزء العلوي

منه، كما تتخلل هذه الواجهة مجموعة من النوافذ الصغيرة والكبيرة الحجم، لكن أغلبها قد أغلق، ولا نعلم السبب في ذلك، ومنها التي ما تزال مفتوحة خاصة النوافذ الصغيرة الموجودة في الجوانب الثلاثة لذلك البروز.

4.4.**ب**2**ـالمدخل**:

يقع هذا الأخير في الجهة الغربية للمنزل تبلغ مقاساته (0.80م) عرض، (1.80م) ارتفاع، (0.25م) عمق **(أنظر الصورة رقم 5)** يتكون الباب عموما من دفتين خشبيتين وهو خال من أي زخرفةٍ تذكر، (لوحة8.صورة1) يتصل هذا المدخل برواق ذو شكل شبه منحرف.

4.4.**ب**3**ـالسقيفة**:

تتميز بشكلها المخروطي وتقع بعد باب المدخل مباشرة، بها مخرج واحد، يؤدي بدوره إلى الصحن مباشرة، تتوسط السقيفة دعامتين بنيتا بمادة الآجر والحج، أما الجدار المقابل للباب فيحوي على كتفٍ.

وقد اعتمد في تسقيفها على مد عوارض خشبية متوضعة فوقها أخرى مبسوطة، وهي تقوية حديثة كما مدت في السقيفة أوصال خشبية دائرية الشكل.

ومن المدخل الرئيسي يقابلنا مدخل آخر بطول (1.70م) نلج من خلاله إلى صحن المنزل.

4.4.**ب**4**ـ الصحن**:

يتوسط المنزل صحن مكشوف قريب من الاستطالة به رواق واحد من الجهة الغربية، يحوي دعامتين وكتف عرض الرواق (1.40م)، به سلم صاعد إلى الطابق العلوي من الجهة الجنوبية، **(أنظر الصورة رقم 6)** كما تتوضع الغرف مباشرة مع الصحن، أما الأعمدة الأخرى المحيطة

بالصحن فقد أدمجت في البناء وكان الهدف من ذلك هو توسعة المنزل، كما أن لهذا المنزل سلم صاعد آخر من الجهة الشرقية للمنزل وهو حديث البناء.

4.4.ب5ـ حجرات الطابق السفلي:

يمتد على الواجهة الشمالية غرفة كبيرة الحجم يتم الدخول إليها بواسطة باب يبلغ عرضها ب (0.70م)، وتبلغ مقاسات الغرفة (4مX6م) كما تقع غرفة مستطيلة الشكل بالواجهة الغربية للمنزل، يتم الدخول إليها بواسطة باب يقدر ارتفاعه بـ (1.76)، وعرض (0.90م) وربما تستغل هذه الغرفة كمطبخ لأن سقفها أسود اللون.

كما فتحت في نفس الواجهة باب أخرى عرضها (1.8م) وارتفاع (1.90م)، وهي مستطيلة الشكل أيضًا وكبيرة الحجم عن الأولى، فتحت في واجهتها الغربية نافذة صغيرة مربعة الشكل تطل إلى الخارج.

أما بالنسبة للجهة الجنوبية للمنزل فقد فتح فيها بابان يؤديان إلى غرفة صغيرة تعذر علينا الولوج إليها لأنها مهدمة عن آخرها، أما الباب الثاني فهو مستطيل الشكل يؤدي بنا إلى رواق يوصلنا إلى ملاحق أخرى.

وبخصوص الواجهة الشرقية فيتوضع ورائها رواق مستطيل الشكل فتح فيه بابان يؤديان إلى غرفة أخرى، علما أن لهذا المنزل رواق واحد في الطابق السفلي حدده لنا عمودان ويبلغ عمق الرواق (8م).

4.4.ب6ـ الطابق العلوي:

يتم الصعود إلى الطابق العلوي بواسطة درجات من الحجارة مقاساتها (0.24م) قائمة، (0.24م) نائمة، (1.20م) باسطة يبلغ عددها 12 درجة في الجهة الجنوبية، وهو السلم الأصلي للمنزل.

يوصلنا هذا السلم إلى رواق مستطيل الشكل، نهايته تبدأ بغرفة نلج إليها من باب ذو دفتين، فتحت في هذا الرواق ثلاثة أبواب بنفس المقاسات (0.80م)، الباب الأولى تؤدي بنا إلى غرفةٍ مستطيلة الشكل بها نافذتين إحداها تطل على الخارج والأخرى على صحن المنزل.

وعمومًا فقد وجدنا على جدران هذه الغرفة طلاء حديث أما الباب الثانية فتؤدي بنا إلى غرفة صغيرة الحجم بها كوة بواجهتها الجنوبية.

أما الباب الثالث وهو أوسعها بعرض (0.80م)، وارتفاعها يقدر بـ (1.90)، وهي غرفة مستطيلة الشكل مقسمة هي الأخرى إلى غرفتين:

الغرفة الأولى بها كوة صغيرة مستطيلة الشكل بجهتها الشرقية، وكوة كبيرة فتحت في نفس الجهة على يسار المدخل، وفتح بواجهتها الجنوبية باب قليل الارتفاع بعرض (0.90م) وارتفاع (1.70م) نلج من خلاله إلى غرفة بنفس شكل الأولى بها كوة مربعة شغلت أعلاها نافذة تطل على الخارج، أما سقف هذه الغرفة فهو حديث من مادة الزنك أما بالنسبة للغرفة الأولى ففيها بروز إلى الخارج عبارة عن قبو. **(أنظر الشكل رقم4)**

وفي نهاية الرواق نجد غرفة أخرى نلج إليها بواسطة باب خشبية قريبة من الاستطالة تأخذ الغرفة الشكل المخروطي، طليت جدرانها بمادة الجص به ألوان أخضر وأزرق تحوي هذه الغرفة كوتين إحداها بها فتحة من الأعلى مستطيلة الشكل للإنارة، أما سقفها فهو محمول بأوصال خشبية مربوطة بإحكام بخيوط وضع عليها الخشب ثم القصب.

وبالنسبة للواجهة الشرقية للمنزل فقد فتح فيها ثلاثة أبواب الباب الأول عرضه (0.80م) وارتفاع (1.80م)، والباب الثاني بنفس المقاسات، والباب الثالث بعرض (0.90م) وقد تعذر علينا الولوج إلى هذه الغرف لأنهم في حالة مزرية وتكاد تسقط.

أما الناحية الشمالية للطابق العلوي فقد فتحت بها باب بعرض(0.70م) نلج من خلاله إلى غرفةٍ كبيرة الحجم (4.50مx4.50م) بها كوة مستطيلة الشكل.

وبالنسبة للواجهة الجنوبية لهذا الطابق فقد فتح فيها بابان، الباب الأول بعرض (0.70م) تتقدمه ثلاث درجات أما الباب الثاني فبعرض(1.20م) تتقدمه درجة واحدة، وتتوضع خلف هذه الأبواب غرف لكن لم نستطع الولوج إليها لأنها في حالة غير جيدة، فدخولنا إليها قد يؤدي إلى سقوط المبنى.

تتقدم غرف الطابق العلوي أروقة مقطوعة من الناحية الشمالية الغربية ومن الناحية الجنوبية للمنزل، التي حددتها لنا الأعمدة الأربعة عشرة ذات الشكل المربع تتخلل هذه الأخيرة الدرابزين الذي يتراوح ارتفاعه(1.10م) تتخلله هو الآخر زخارف هندسية شكلت بواسطة الآجر، أما ناحية التسقيف فهذا النموذج سقف بهادة القرميد غير أنه في معظمه تعرض لعدة تغيرات أهمها أنه أستبدل بهادة الزنك.

ومنه فإن هذا المنزل قد تعرض للعديد من التغييرات التي أثرت على طابعه و مخططه العام برز ذلك في استعمال أكثر من مادة بنائية في جدار واحد وهذا ما أدى إلى وجود العديد من التقنيات البنائية، ومن أهم ما بقي محافظا على أصالته هي الأبواب التي وجدنا فيها زخرفة بالإضافة تمثلت في عقود مفصصه يلج الباب بداخلها لتعطينا تناسقا فنيا غاية في الدقة والجمال، بالإضافة إلى الزخارف الهندسية التي شكلت بواسطة الآجر على شكل خطوط منكسرة أدت هي الأخرى إلى تشكيل شبكة من المعينات أضفت على المبنى حلة جمالية تدل على أن الفنان المسلم كان يكره الفراغ.

5ـ العناصر المعمارية:

5.أ ـ الأبواب:

وجدنا أن الأبواب الرئيسية للنماذج المدروسة تتكون من مصراعين، وتتخذ الشكل المربع، واحتوائها على حلقة تتوسط أحد الدفتين تساعد في غلق الباب، أما من الداخل فقد استعمل المزلاج في غلقها.

و تظهر أبواب الغرف بنفس الشكل في جميع المنازل، فكلها صنعت من مادة الخشب،**(أنظر الصورة رقم 7)** موضوعة داخل إطار من الخشب ولم تزين الأبواب بالعناصر الزخرفية، فيما عدا الحلقة، وهذا ما يميز أبواب النماذج المدروسة، بأنها جاءت بسيطة في شكلها، ما عدا بعض الأبواب التي وجدنا فيها أطرًا على شكل عقد نصف دائري، يدرج فيه باب من خشب، وعلى هذا الأساس فإن الأبواب تتركب من قسمين، قسم أول أدرج في البناء، ونعني به الإطار، وقسم ثانٍ يمثل الباب الخشبي، ويتركب القسم الأول من: القائمتان وتمثلان الدعائم الجانبية، وتحمل عقد المدخل، ومن الأبواب التي تضم مصراعًا ومنها ذات مصراعين.

ومن أهم ما يميز هذه الأبواب أيضا هو انفتاحها نحو الداخل وهذا ما يمكن صاحب الدار من معرفة الطارق دون فتح الباب كله.

5.ب ـ النوافذ:

هي فتحة في الجدار، وهي عنصر معماري مهم لا يمكن الاستغناء عنه، لأنه مصدر للتهوية والإضاءة[27]، وكذلك الإشراف و النظر إلى الخارج وتكون هذه النوافذ عادة ضيقةً في المسكن الإسلامي عامةً، ومنها المطلة على الصحن مباشرة، وهي كبيرة نوعًا ما، ففي النماذج المدروسة، وجدت النوافذ الصغيرة بكثرة، خاصة في الجدران الخارجية وفي أعلى سور المنزل، وهذا من أجل حرمة الناس داخل بيوتهم، إذ في بعض الأحيان نجد بها شبابيك حديدية لمنع أي تسلل أو سرقة،

أو اعتداء خارجي، والهدف من كثرة النوافذ بالمساكن خصوصًا منها الصغيرة هو السماح بدخول الهواء، و الحرارة إلى داخل المنزل، وفي نفس الوقت المحافظة على التقاليد الإسلامية في بناء النوافذ، التي في معظمها جاءت على شكل مستطيل ومربع، بحيث تغلق النوافذ الكبيرة بواسطة دفةٍ أو دفتين من الخشب، بداخلها قطع من الزجاج، هذه الأخيرة وجدت في النموذج الأول خصوصًا منها المطلة على الصحن، أما بالنسبة للنموذج الثاني فقد وجدت بكثرة في الجدران الخارجية للمنزل، في حين تكاد تكون منعدمة بالداخل، إلا أن أغلب نوافذ الواجهة الخارجية قد أغلق، ولا نعلم السبب في ذلك، ما عدى بعض الفتحات الصغيرة، وقد يكون الهدف من إبقائها هو الحراسة، لأنها موجودة على مستوى واحد في اتجاهات مختلفة.

5.جـ- الأعمدة:

العمود هو ما يدعم به السقف أو الجدار، ولقد أخذ العمود تسميات عدة، فهو عمود في المشرق، وسارية في المغرب وشمعة في لبنان، وأسطوانة على لسان بعض الكتاب[28]، والأعمدة المربعة هي الأكثر استعمالا و انتشارا في مساكن ميلة القديمة، **(أنظر الصورة رقم 8)** للعمود قاعدة من الحجارة الكبيرة، التي يبلغ نصف قطرها (0.50م) في كل من المسكنين، وفي بعض الأحيان نجد العمود قائما بدون قاعدة، يتوضع العمود وسادة حجرية تكون بين العمود والسقف، ملساء من الخارج ، بارزة في الأركان.

وبصفة عامة فإن أعمدة المساكن قليلة الارتفاع، شيدت بمادة الآجر المحروق، وربما يعود السبب في استعمال هذه المادة بكثرة في البناء إلى الأفران الكثيرة التي كانت تزخر بها المدينة، وهي خالية من أي زخرفة تذكر، يبلغ عدد أعمدة النموذج الأول ثلاثة عشرة عمود في أعلى وأسفل المنزل، أما النموذج الثاني فيحوي عمودين بالطابق الأرضي.

5.د ـ السلالم:

مفردها سلم أو هو الدرجة أو المرقاة، ويسمى السلم سلمًا لأنه يسلمك إلى حيث تريد، ويسمى أيضا بهذا الاسم أيضًا لأنه يؤدي إلى غيره[29]، أي أنه الدرج الذي يصعد عليه إلى الطوابق العلوية، ودرجة السلم إذا كان لها جزء بارز عن موضع القدم يسمى أنف الدرجة، وموضع القدم يسمى نائمة ،وارتفاع الدرجة يسمى قائمة [30].

ويبلغ عدد درجات السلم المؤدي إلى الطابق العلوي في النموذج الأول ثلاثة عشرة درجة، تبلغ مقاساتها في المتوسط (الباسطة 1.35م)

القائمة (0.20م)، النائمة (0.23م)، وبلطت أرضية هذا السلم ببلاطات خزفية حمراء اللون، مقاساتها (20 20سم)، يحوي السلم في جداره الأيسر فتحات مربعة الشكل عددها خمسة عشر، في الصف السفلي ثمان فتحات، وفي الأعلى سبعة، الغرض منها التهوية أو لدخول النور.

سقف السلم بمادة الحطب بواسطة عوارض خشبية متوضعة على أوساط خشبية، أما السلم في المنزل الثاني فعدد درجاته، تسع درجات على شكل حرف" U "بالفرنسية، وبنيت هذه الدرجات بواسطة الحجارة الكبيرة الحجم، تبلغ مقاساتها في المتوسط النائمة (0.50م)، الباسطة (1.10م)، القائمة (0.40م)، ومنه فإن السلم من عناصر البناء الداخلية المهمة، التي كان يوليها المعمار أهمية كبيرة منذ القدم، وذلك لأنها وسيلة للربط بين مختلف أجزاء المبنى، أي أنها بمثابة حلقة وصل بين الطوابق في أماكن خاصة.

5.هـ ـ الدرابزين:

لفظ الدرابزين لفظ فارسي لكلمة لاتينية (Baustrad)، وهي كلمة دخيلة أصلها فارسي، وتعريبها جلفق، ويطلق عليه اسم دربوز في الجزائر، وهو عبارة عن قائم يعلوه متكأ[31].

فهو كل ما تم بناءه من حديد أو خشب أو غيرها من المواد، في جوانب السلالم أو حواف الأروقة في الطوابق العليا المشرفة على الصحن[32]، كشرفةٍ تقي جسم الإنسان من السقوط، ومنه فإن درابزينات المساكن بميلة مبنية بمادة الآجر، ووجدنا في وسط القوائم نوع من الزخرفة الهندسية، بأشكال مخرمة.

ينطلق بناء الدرابزين في المسكن الأول بشرافات مسننة، أضفت على الدرابزين نوعا من الزخرفة والجمال، **(أنظر الصورة رقم 9)** أما المسكن الثاني ففيه زخارف هندسية عبارة عن مثلثات قوام كل ضلع منها (23سم)، أعطت لنا في الأخير شبكة من المعينات التي شغلت الواجهة المطلة على الصحن.

5.و- الكوات:

هي أيضًا من العناصر المعمارية، استعملت بكثرة في عمارة ميلة، فقد وجدت من أجل وضائف عدة محددة، كوضع الكتب أو وسائل الإنارة بداخلها، وأدوات الزينة للمرأة، وفي بعض الأحيان تستعمل لوضع الأحذية، كالتي في أحد جدران سلم المسكن الأول، فهي بذلك تؤدي عدة أغراض رغم تعدد أشكالها، والتي منها المربعة والمستطيلة موزعة في الغرف حسب الحاجة إليها، وقد لاحظنا أنها كثيرة في غرف المسكن الثاني خاصة الطابق العلوي، **(أنظر الصورة رقم 10)** وقد يعود السبب في كثرتها، هو الحاجة الماسة إليها لتعدد استعمالاتها.

5.ز- الخزائن الجدارية:

عبارة عن حنيات أو دخلات في الجدران تتوزع على جميع أقسام المساكن، وظيفتها التخفيف من ثقل الجدران، لها دور مهم يتمثل في اتخاذها كخزائن لفظ حاجيات أهل البيت، مما يسمح بوضع الأثاث الذي يشغل مساحة كبيرة في الغرفة، **(أنظر الصورة رقم 11)** خصوصا في المساكن

التي غرفها صغيرة، ولاحظنا أن هذه الخزائن في معظمها، تتخذ نفس شكل النوافذ، مستطيلة الشكل.

خاتمة:

ما تزال تحتل مكانة مرموقة بين طرز العمارة التي عرفتها الحضارة الإنسانية عامة، فقد استطاعت العمارة الإسلامية أن تحقق لنفسها طرازا فريدا من نوعه، سواء من حيث التخطيط، أو من حيث العناصر المعمارية والزخرفية، التي اتسمت بالمهارة والتنوع والدقة والقيمة الجمالية والفنية، ومن المعروف أن كل طراز تتحكم فيه عدة عوامل كالعوامل الدينية والسياسية والاقتصادية والبيئية في كل أقطار العالم الإسلامي.

لهذا يعد المسكن من أهم مكونات العمارة المدنية، أحد الأوجه الثقافية والحضارية المعبرة للأسرة والمجتمع به، كما يعد الخلية الأساسية التي يقوم عليها عمرانه، فهو المبنى الذي يضمن له الأمن والاستقرار مع الأخذ بعين الاعتبار القواعد والأحكام التي تحدد العلاقة بين هذه المباني والتخطيط العام للمدينة.

وتتميز التجمعات السكنية بمدينة ميلة حاليا بكونها نسيجا مترابطا، فقد ظهرت الوحدات السكنية متصلة فيما بينها لتشكل مباني كبيرة تفصل بينها الممرات الضيقة التي لا تتجاوز 2.5م (الشوارع) وهي بذلك ترتكز على تراص الوحدات السكنية جنبًا إلى جنب وبواجهات مغلقة نحو الخارج وفناء يحيط به البناء من ثلاث أو أربع واجهات، وتبليط الأرضيات بمادة الآجر واستعماله بكثرة في البناء، كما نجد أيضًا استعمال العديد من مواد وتقنيات البناء، غير أن معظم المساكن خالية من الزخرفة وهذا راجع إلى التقشف وعدم الإسراف في الزخرفة ماعدا بعض الزخارف الهندسية الموجودة على درابزينات المساكن.

وفوق كل هذا كله فإنه مع قلة سكان مدينة ميلة القديمة وهجرة المساكن وعدم القدرة على جلب مواد البناء الجديدة يدفع بسكانها إلى استخدام مواد بناء هذه الدور المهجورة لإعادة تأهيل مبانيهم للحفاظ عليها وهذا له آثار سلبية في تدهور حالة كل المساكن في المدينة.

ملحق المخططات:

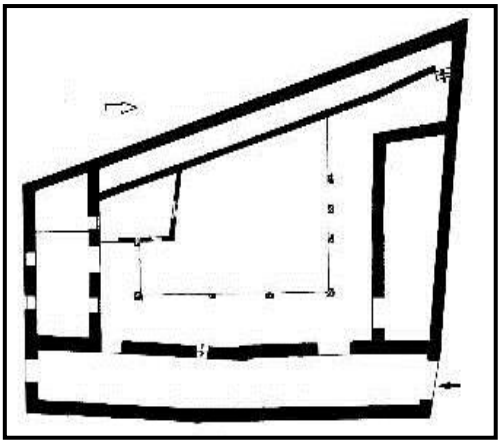

الشكل رقم(01): الرفع الأثري للطابق الأرضي

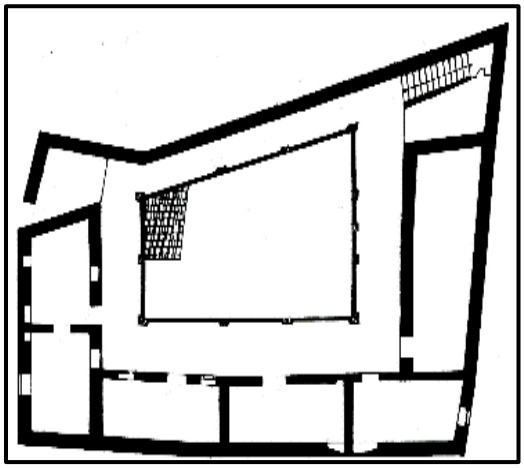

الشكل رقم(02): الرفع الأثري للطابق الأرضي (المسكن الأول).

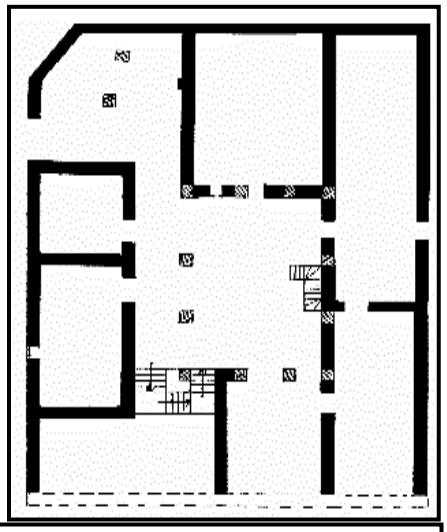

الشكل رقم(03): الرفع الأثري للطابق السفلي

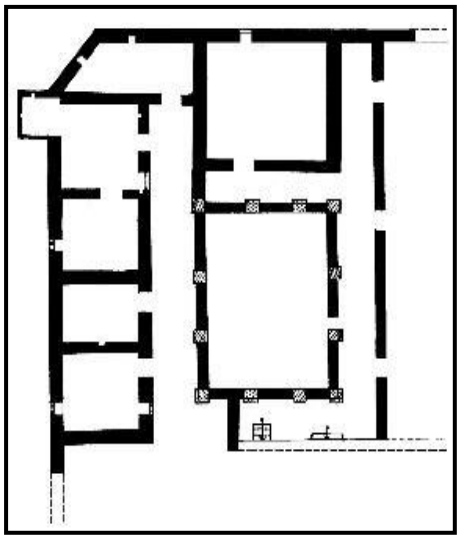

الشكل رقم(04): الرفع الأثري للمسكن الثاني (الطابق

ملحق الصور:

صورة رقم(01): سقيفة المسكن (النموذج الأول)

صورة رقم(02): الصحن (النموذج الأول).

صورة رقم(03): الصحن (النموذج الأول).

صورة رقم(4): تبين الواجهة الرئيسية للمسكن

صورة رقم(5): تبين الباب الرئيسية للمسكن.

صورة رقم(6): يبين صحن المسكن

صورة رقم(7): باب أحد غرف المسكن الثاني.

صورة رقم(8):تبين أحد أعمدة المسكن الثاني

صورة رقم(9):تبين زخارف درابزين المسكن الثاني

صورة رقم(10):تبين كوات بالمسكن الثاني

صورة رقم(11): خزانة جدارية في المسكن الأول.

الهوامش :

[1] – سعيدوني (ناصر الدين)، معجم تاريخي للأماكن والبلدان الجزائرية، ع3، ميلة ، 1995، ص 3.

[2] – ميلة حضارات وثقافات، دليل مديرية السياحة لولاية ميلة، 2009، ص01.

[3] – ياقوت الحموي (شهاب الدين)، معجم البلدان، ج8، القاهرة، 1906، ص 226.

[4] – المراكشي(عبد الواحد)،المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق سعيد العريان، القاهرة، 1963،ص 442.

[5] – عن الديوان الوطني لحماية واستغلال الممتلكات الثقافية المحمية لولاية ميلة.

[6] – ميلة عبر العصور، دليل لجنة الأفراح بلدية ميلة، د ت، ص 07.

[7] – الحسن الوزان (ليون الإفريقي)، وصف إفريقيا ، ترجمة حجي (محمد)و الأخضر(محمد)، ط2، ج2، دار المغرب الإسلامي، بيروت 1983، ص 322.

[8] – بلعطار(رمضان)،مدينة ميلة، ع1، 1994، ص 16.

[9] – -Vars(Ch) ;<< Inscription de milev>>, In Recueil De La Société Archéologique du Département de Constantine.26, 1890, p 91.

[10] – البكري (أبو عبيد)، المصدر السابق، ص 729.

[11] – الإدريسي، المصدر السابق، ص 67.

[12] – المجهول، المصدر السابق، ص 166.

[13] Dictionnaire, Le Petit Larousse, Illustre, Paris, 1991, P 81.

[14] – عاصم محمد رزق،الكامل في مصطلحات العمارة الإسلامية ، مكتبة مدبولي، ط2000،1، ص 103.

[15] – نفسه، ص 38.

[16] – القرآن الكريم، سورة النحل، آية 80.

[17] – ابن خلدون (عبد الرحمان)، المقدمـــــة، مج 1، ف 25، ط 3، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، 1967، ص724.

[18] – عاصم(محمد رزق)، المرجع السابق، ص 38.

[19] – الريحاوي(عبد القادر)، قمم عالية في تراث الحضارة العربية الإسلامية المعماري والفني، ج2، دمشق، 2000، ص 609.

[20] – مكاس(مليكة)، المسكن التقليدي بقلعة بني عباس ببجاية دراسة تاريخية أثرية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، 2008–2009، ص 31.

[21] – الريحاوي(عبد القادر)، البيت في المشرق العربي الإسلامي، جامعة الدول العربية، تلمسان، نوفمبر، 1982، ص 14.

[22] – عثمان(محمد عبد الستار)، المدينة الإسلامية، دار الآفاق العربية، ط1، 1419هـ/ 1999م، ص 347.

[23])– غالب (عبد الرحيم)، المرجع السابق، ص 240.

[24])– بن نعمان (إسماعيل)، مدينة دلس دراسة أثرية و معمارية (10.13هـ/ 16.19م)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في علم الآثار تخصص آثار إسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2006/ 2007، ص 208.

[25])– سامي محمد نوار، المرجع السابق، ص 125.

[26])- غالب (عبد الرحيم)، المرجع السابق، ص241.

[27] – وزيري (يحيي)، موسوعة عناصر العمارة الإسلامية، مكتبة مدبولي، ج3، القاهرة، 1999، ص 65.

[28] – دحمون (منى)، قصر بوصمغون بولاية البيض دراسة أثرية تحليلية، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر،2004-2005،ص 69.

[29] – ابن منظور(أبي الفضل جمال الدين محمد)، لسان العرب، تحقيق عبد الله الكبير، ط1، مج 5، دار المعارف بيروت، 1990، 191.

[30] – نوار (محمد سامي)، المرجع السابق، ص 97.

[31] – غالب (عبد الرحيم)، موسوعة العمارة الإسلامية، ط1، جروس بيرس، بيروت، 1988، ص 184.

[32] – ابن منظور، المصدر السابق، مج3، ص 166.